

الأسلوب الشرعي في نصيحة الولاة والحكام

سيد عبدالغفار بخاري*

الحمد لله رب العالمين القائل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾⁽¹⁾ والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين القائل "الَّذِينَ النَّصِيحَةُ قِيلَ لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَلِعَامَتِهِمْ"⁽²⁾ وعلى آله الأطهار وصحبه الأبرار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعدها فإن البحث يشمل ما يلي :
أولاً: المقدمة (أهمية الموضوع)

ثانياً: دراسة الموضوع وتكون من أربعة مباحث :

الفصل الأول: تعريف النصيحة شروطها وحكمها للولاة والحكام.

الفصل الثاني : منحه الإسلام في مناصحة الولاة والحكام.

الفصل الثالث: حقوق الولاة والحكام وواجباتها في الشرع

الفصل الرابع: الشبهات التي يعرضها أهل الأهواء والرد عليها

ثالثاً: الخاتمة (النتائج والتوصيات والمقترحات)

أهمية الموضوع:

فقد أمرت الشريعة المطهرة المسلمين بإقامة الأخوة الدينية من المحبة والإخاء والاحترام والتقدير فيما بينهم، وتقويمهم في تصحيح ما قد يقع منهم من خطأ أو خلل في مسيرتهم الذاتية، ولما كانت النفوس جبلت للوقوع في الخطأ كان لا بد من وجود ما يرشد إلى ما يصلحه ويسدده و لذلك أمر الشارع الحكيم بالنصيحة التي تعتمد على حب الخير للمنصوح والرغبة في استقامة حاله وصلاحها. إذا فللنصيحة مكانة رفيعة ومثلتها عند الله عظيمة وهي دعامة من دعائم الإسلام وأصل من أصوله وهي من أوليات حق المسلم على أخيه المسلم.

وتزداد النصيحة أهمية للولاة والحكام لأنهم من أولى الناس بها لعظيم مكانتهم وكبير حقهم ولقوة أثرهم في الرعية ولكثرة الأسباب التي تزين لهم الباطل وتصدهم عن الحق. فلذا لا بد أن تكون النصيحة وانتصاحهم للولاة في مقدمة المنتصحين؛ لأن نصيحتهم فيها الخير كل الخير لهم، ولمن يتولون أمرهم، فحقوق الولاة في الإسلام أمر لم تغفله الشريعة بل تضافرت النصوص الصريحة من الكتاب والسنة الصحيحة، وفقه سلف الأمة على بيانه، وتحذير المسلمين من مخالفته.

فلذلك حرص علماؤنا على نصيح الحكام بما يسد مسيرة الدولة، ويرى ذمة العلماء، وهذا كان منهجاً لعلماؤنا الكرام، فإن هذه الناحية أي النصيحة من أهم نواحي ذلك التاريخ الوضوء، وقد كان من محاسن علماء الإسلام وحماته أن قاموا بنصيحة الولاة والحكام ، وأنهم لم ما أرادوه من إبلاغ الحق، وإقامة الحق في وضوح ونصاعة.

إننا أمة مسلمة قد أنعم الله علينا بنعمة الإسلام، وشرع لنا وسائل وأسلوب النصيحة في أداء ذلك الواجب فعلى أن نختار الأسلوب الصحيح في نصيحة الولاة ولنا فيها قدوة وسيرة السلف الصالح وأن نبتعد عما عن الأمثلة

* الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية ، الجامعة الوطنية للغات الحديثة اسلام آباد، باكستان

الغربي اللاديني في كيفية أداء النصيحة، والذين يدعون الناس إلى المظاهرات والثورات والإنقلابات و يمنحهم على الخروج على الحكام. نسأل الله العفو والعافية والتوفيق.

الفصل الأول: تعريف النصيحة ، شروطها وحكمها للولاة والحكام:

المبحث الأول: تعريف النصيحة ، شروطها وآدابها :

أولاً: النصيحة لغة:

لفظ نصيحة مأخوذة من الفعل نصح، وهو يدل على معان كثيرة ،منها بمعنى خلص قال ابن منظور: "نصح أي: خلص، والناصح أي: الخالص من العسل وغيره، العسل إذا كان صافياً يسمى ناصحاً أي: خالصاً، و المصدر نصحا ونصيحة وتقول: نصحت فلاناً ونصحت له وهو الأفصح"⁽³⁾ لأنه ورد في القرآن ﴿وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾⁽⁴⁾. ويقال: انتصح فلان أي قبل النصيحة، ومنها بمعنى الخياطة ، والنصح مصدر قولك نصحت الثوب إذا خطته يقال نصح الثوب ينصحه نصحا وتنصحه: خاطه والنصحة هي الإبرة، ورجل ناصح أي خائط.⁽⁵⁾

ثانياً: النصيحة في الاصطلاح:

أما النصيحة في الاصطلاح قال ابن الأثير: "النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة وهي إرادة الخير للمنصوح له، فليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيره أصل النصح في اللغة الخلوص"⁽⁶⁾ أي بلغ من جماع هذه الكلمة وبلاغتها أنه لا يمكن التعبير عن هذا المعنى بكلمة واحدة إلا كلمة النصيحة. وذكر الإمام الخطابي: بمعناه.⁽⁷⁾ وقال الإمام الراغب: "النصح تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه"⁽⁸⁾. وذكر الإمام محمد بن نصر المروزي: قول بعض أهل العلم عن النصيحة: "هي عناية القلب للمنصوح له كائنًا من كان"⁽⁹⁾.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

فإذا نظرنا إلى المعان اللغوية للنصيحة، وهي 1: تخلص القول من الغش 2: وتحري صلاح المنصوح، تبين لنا أن العلاقة بينها وبين المعنى الاصطلاحي توجد وأما بالمعنى الأول وهي تخلص النفس من الشوائب، ونصح العسل هو تخليصه مما يشوبه، كذلك فإن نصح المرء في تكميل نقصه، وتصفيه نفسه مما علق بها من الشوائب والذنوب وبالمعنى الثاني وهي سد النقص، ونصح الثوب هو خياطته فكما أن الإبرة تلم الثوب المهترى الذي يراد رتقه، فكذلك الناصح يلم شعث أخيه وما ظهر منه من العيوب بالنصيحة.

قال ابن حجر: "النصح هو تخليص الشيء من الشوائب والغش. فكأنه شبه الناصح بأنه يخلص المنصوح من الغش، ويخلصه من الشوائب التي علق به وبخاله، كما يخلص العسل من الشمع والشوائب، ومنه قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ تَوْبَةً تَوْفَئًا﴾⁽¹⁰⁾ التوبة النصوح هي التوبة الخالصة من شوائب الرياء، والذنوب، والإصرار، وعدم الندم.. إلى آخره"⁽¹¹⁾.

قال الإمام النووي : "النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه. فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب"⁽¹²⁾ والجدير بالذكر بأن حقيقة النصيحة على نوعين :

1: تكميل نقص: وهذا في حق العباد الذين يصيبهم النقص، وتقع منهم الأخطاء والذنوب والآثام، ويتصور منهم التقصير.

2: وصف بالكمال: وهذا في حق الله تبارك وتعالى، وفي حق كتابه الكريم، وفي حق النبي ﷺ
ثالثاً: أركان النصيحة: فالنصيحة أركان ثلاثة وهي:

- 1: الناصح: وهو الذي ينصح غيره
 - 2: المنصوح: وهو الذي ينصحه غيره
 - 3: المنصوح به: وهو الأمر الذي ينصح به الناصح المنصوح
- رابعاً: شروط النصيحة:

لا بد أن تتوفر في الناصح والمنصوح الشروط التالية:

- 1- الإسلام: فالأصل في الناصح أن يكون مسلماً وأما بالنسبة للمنصوح، فيرى بعض أهل العلم أنه لا بد أن يكون مسلماً وحجتهم من اشترط الإسلام قوله السلام: ((والنصح لكل مسلم))⁽¹³⁾.
- ويرى ابن حجر عدم اشتراطه وأن التقييد بالإسلام للأغلب، حيث يقول: "والتقييد بالمسلم للأغلب، وإلا فالنصح للكافر معتبر بأن يدعى إلى الإسلام، ويشار عليه بالصواب"⁽¹⁴⁾.
- 2- البلوغ: فينشرط في الناصح والمنصوح أن يكونا بالغين لأن البلوغ مناط التكليف، ومن لم يكن بالغاً فليس عليه تكليف، لقوله السلام: ((رفع القلم عن ثلاثة: وذكر منها الصبي حتى يحتلم))⁽¹⁵⁾.
- 3- العقل: فلا بد أن يكونا عاقلين؛ لأن العقل مناط التكليف، وقد رفع القلم عن من ليس بعاقل، وفي الحديث السابق ((وعن المجنون حتى يفقه))⁽¹⁶⁾.

يشترط في الأمر الذي ينصح به ما يلي:

- 1- أن يكون داخلاً تحت الأمر الشرعي، بأن يكون إما طلباً لفعل مطلوب فعله شرعاً، أو طلباً لترك أمر مطلوب تركه شرعاً، وعلى هذا فإن النصح بترك المأمور به شرعاً لا يسمى نصيحة، وكذا النصح بفعل المحرم شرعاً لا يعد نصيحاً شرعياً يحتم على المنصوح قبوله.
- 2 - أن يكون الأمر المنصوح به قد اتفق أهل العلم على طلب فعله أو تركه، ولا يكون أمراً خلافياً بينهم وهذا أمر متفرع على قاعدة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في "أنه لا إنكار على مجتهد، ولا إنكار في أمر يختلف فيه"⁽¹⁷⁾.

آداب النصيحة: لا بد أن يتحلى الناصح بآداب النصيحة حتى تقع نصيحته من المنصوح موقع القبول، ومن هذه الآداب:

- 1: أن يقصد وجه الله عز وجل
- 2: أن يكون النصح بلطف وأدب ورفق
- 3: أن يكون النصح في السر
- 4: اختيار الوقت المناسب للنصيحة

المبحث الثاني: مكانة النصيحة وأهميتها للولادة والحكام :

أولاً: مكانة النصيحة :

إهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بالنصيحة، وهي وسيلة من وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وركناً من أركانه، والخطوة الأولى إذا اشتملت على الإخلاص لله تعالى وأسلوب الجميل في إسدائها لمن يرى أنه مستحق لها. إذا فالنصيحة تعتبر ركناً من أركان دين الإسلام الحنيف، وجعل الله تعالى التمكين لهذه الأمة في الأرض إذا قامت به على الوجه المطلوب ولذلك عظم الرسول ﷺ النصيحة فجعلها هي الدين، حيث قال ((الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم)).⁽¹⁸⁾

عرف الدين بأنه نصيحة مع أن تكاليف الدين كثيرة، وليست محصورة في النصح وحده، لأن النصيحة هي جل الدين، فحصر رسول الله ﷺ كل الدين فيها. كما قال عليه الصلاة والسلام ((الحج عرفة))⁽¹⁹⁾ لعظم عرفة في الحج وهو أعظم ركن في الحج.

قال ابن حجر "هذا الحديث من الأحاديث التي قيل فيها إنما أحد أرباع الدين ... يحتمل أن يحمل على المبالغة؛ أي معظم الدين النصيحة... ويحتمل أن يحمل على ظاهره؛ لأن كل عمل لم يرد به عامله الإخلاص فليس من الدين"⁽²⁰⁾ ويقول الحافظ ابن رجب: "فهذا يدل على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جرير عليه السلام، وسمى ذلك كله ديناً".⁽²¹⁾

وقال الإمام النووي "هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام".⁽²²⁾

ورد حديث بلفظ ((الدين النصيحة)) بتمامه من طريق خمسة من الصحابة وهم محمد، وابن عمر، وابن عباس، وأبي هريرة، وثوبان رضي الله عنهم. كما وردت أحاديث أخرى في النصيحة عن عدة من الصحابة وهم: جرير، حذيفة، أنس بن مالك، أبو أمامة، أبو أيوب، أبو زيد رضي الله عنهم وغيرهم.

فثبت من ذلك أن حديث النصيحة قد بلغ مبلغ التواتر، وفي هذا الصدد يقول محمد بن جعفر الكتاني: "أحاديث بذل النصيحة للأئمة وغيرهم من المسلمين متواترة".⁽²³⁾ وقال الشيخ صديق حسن خان: "والأحاديث الواردة في مطلق النصيحة متواترة وأحق الناس بها الأئمة".⁽²⁴⁾

ثانياً: أهمية النصيحة للولادة والحكام: لا شك أن كل شخص بحاجة إلى نصح إخوانه حتى الولادة، بل وحتى الأنبياء بحاجة إلى هذا التناصح فقد ذكر الله عز وجل حكاية عن الرجل المؤمن ينصح موسى عليه السلام ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾⁽²⁵⁾

وتزداد النصيحة أهمية للولادة والحكام لأنهم من أولى الناس بما لعظيم مكانتهم وكبير حقهم ولقوة أثرهم في الرعية ولكثرة الأسباب التي تزين لهم الباطل وتصددهم عن الحق. فقد قال عليه الصلاة والسلام ((إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويسخط لكم ثلاثاً يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم)).⁽²⁶⁾

أما النصيحة للولادة والحكام: فمعناه طاعتهم واتباعهم وتأيدهم، ونصرهم والجهاد معهم، والقيام بحقوقهم وعدم شق عصا الطاعة عليهم والدعاء لهم.

قال الحافظ ابن رجب: "...وأما النصيحة لأئمة المسلمين فحبٌ صلاحهم ورشدهم وعدلهم ، وحبٌ اجتماع الأمة عليهم ، وكراهة افتراق الأمة عليهم ، والتدين بطاعتهم في طاعة الله عز وجل ، والبغض لمن رأى الخروجَ عليهم ، وحبٌ إعزازهم في طاعة الله عز وجل". (27)

قال ابن الأثير "ومعنى نصيحة الأئمة أن يُطِيعَهُم في الحق ولا يرى الخروجَ عليهم إذا جازوا ونصيحة عامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم". (28)

قال الخطابي رحمه الله: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه وتبليغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم بالسيف وتأليف قلوب الناس لطاعتهم والصلاة خلفهم والجهاد معهم وأن يدعو لهم بالصلاح". (29)

ثبت من ذلك أن النصيحة للولاة والحكام، تكون معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وتنبيههم عند الغفلة، وسد خللتهم عند المحقرة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، ودفعهم عن الظالم بالتي هي أحسن .

المبحث الثالث: حكم النصيحة للولاة والحكام:

أما حكم النصيحة فقد ذكر عن أهل العلم الأقوال التالية:

القول الأول: فقد ذكر بعض أهل العلم أن النصيحة واجبة لأن الله عز وجل قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (30) فهذه الآية نص في وجوب طاعة أولي الأمر وهم الأمراء والعلماء، كما السنة المطهرة تبين أن النصيحة لازمة، وهو قوله عليه الصلاة والسلام ((وإذا استنصحتك فانصح له)) (31) لأن الكلمة في البداية كلمة حق أي لا بد أن تؤدي لأنه حق. ثانيا "فانصحه": صيغة الأمر التي تدل على الوجوب أصلا وهي فريضة في المعروف. رجع ابن حجر هذا القول حيث قال: "حكمها الوجوب على قدر الحاجة إذا أمن على نفسه". (32)

وقال الحافظ ابن عبد البر: "وأما مناصحة ولاة الأمر فلم يختلف العلماء في وجوبها إذا كان السلطان يسمعها ويقبلها". (33)

وقال رحمه الله أيضاً: "وأما قوله: "تناصحو من ولاة الله أمركم" ففيه إيجاب النصيحة على العامة لولاة الأمر وهم الأئمة والخلفاء وكذلك سائر الأمراء ...". (34)

كما رجع الإمام ابن حزم هذا القول حيث قال: "النصيحة لكل مسلم فرض" (35)

القول الثاني: يرى ابن بطال أنها فرض كفاية حيث قال: "والنصيحة فرض يجزي فيه من قام به ويسقط عن الباقيين" (36)

القول الثالث: ذكر ابن رجب أن النصيحة نافلة حيث قال "وأما النصيحة التي هي نافلة لا فرض، فبذل الجهود بإيثار الله تعالى على كل محبوب بالقلب وسائر الجوارح، حتى لا تكون في الناصح فضلاً عن غيره، لأن الناصح إذا اجتهد لم يؤثر نفسه عليه، وقام بكل ما كان في القيام به سروره ومحبته، فكذلك الناصح لربه" (37).

وقيل إن النصيحة قد تكون فرضاً، وقد تكون نافلة، فالنصيحة المفروضة: "هي شدة العناية من الناصح باتباع محبة الله في أداء ما افترض، ومجانبة ما حرم" (38).

ولا شك أن أولى من هذه الأقوال بالقبول قول من قال إن النصيحة واجبة على كل مسلم، ولا أرى منافاة بين هذا، وبين ما نقل عن ابن رجب رحمه الله. لأن النصيحة لا تخرج عن كونها، فرض عين أو على الكفاية، أو مندوبة.

الفصل الثاني: منهج الإسلام في مناصحة الولاة والحكام:

المبحث الأول: الأساليب المهمة في النصيحة :

لقد ركز القرآن الكريم على الأسلوب في النصيحة تركيزاً لطيفاً، فقال الله تعالى لموسى وهارون عندما أرسلهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾⁽³⁹⁾ وإذا نظرنا إلى سيرة المصطفى ﷺ نجد نصيحته عليه الصلاة والسلام تتصف اتصافاً كاملاً بهذه الصفة، ونجد مواقف كثيرة من سيرته الطيبة فهذا الصحابي معاوية بن الحكم السلمي أثرت نصيحة الرسول ﷺ في نفسه أثراً بالغاً، لذلك يقول "فوالله ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ﷺ"⁽⁴⁰⁾ وأيضاً قصة الأعرابي الذي بال في المسجد⁽⁴¹⁾.

فللناصح أن يلاحظ الفروق بين النصيح والتعير و هي كالتالي:

- 1- النصيحة تكون في السر، والتعير يكون في العلن
 - 2- المؤمن يقوم بالنصح ، والفاجر يقوم بالتعير
 - 3- غرض الناصح الإصلاح وغرض المعير الإفساد
 - 4- الناصح يؤدي حقاً واجباً عليه لأخيه المؤمن: فهو مأجور على نصحه لأخيه، وأما المعير فهو مهتك لحقوق العباد مفرق لجماعتهم، مفسد لدينهم، وبالتالي فهو آثم
 - 5- الناصح يخلو من حظ النفس في الغالب، وأما المعير مرض قلبه فهو غير خال منه
- إذا فلا بد للناصح أن يختار حسن الأسلوب في النصيحة وأن يفرق بين النصيحة والتأنيب، وبين النصيحة والتعير فعلى الناصح أن يختار عند إسداء النصيحة من أسلوب جميل و وسيلة مناسبة لتصل نصيحته إلى قلب المنصوح فيتأثر بما حتى يكون للنصيحة أكبر أثر وأكثر قبول ، وأسرع استجابة لمن أسديت إليه و أن لا ينتظر الناصح قبولها وإنما عليه أداء الواجب دون العتاب على عدم الأخذ بها. و أن لا تكون النصيحة على وجه التوبيخ أو التعير أو يقصد به الاستعلاء.

وهناك الأساليب المهمة لإسداء النصح فلا بد للناصح أن يختارها، ومن هذه الأساليب ما يلي :

1: النصيحة بين التملق والتشهير

النصيحة عبادة ومسئولية، فإذا انقلبت إلى تمجيد أو تشهير أو تملق أو تزلف فقد خرج الناصح بدين الله تعالى عن الطريق الصحيح إلى أغراض أخرى شخصية ومطامع دنيوية، فلا بد أن تكون النصيحة بين التملق والتشهير.

2: النصيحة بين التدرج وعدمه

الحكمة في النصيحة أن تتدرج أثناء عرضها، وأن يبدأ الأهم فالأهم فعلى الناصح أن يبدأ بالمنكر الأكبر أولاً، وبعد فترة من الزمن يفتح معه موضوعاً آخر، وبعد فترة ثالثة يفتح موضوعاً ثالثاً وهكذا.. وهذا لا يناهض عرض الحق على الولاة، لأنه لا يلغى هذا المنكر أو بهمله تماماً وإنما يوجهه إلى وقته المناسب .

3 : النصيحة بين التلميح والتصريح

إن من الحكمة أن تكون النصيحة بأسلوب التلميح وليس بأسلوب التصريح، فأسلوب التلميح من الأساليب الناجحة إذا أحسن استخدامه، و كان رسول الله ﷺ يستخدم هذا الأسلوب.

4: النصيحة بين التعميم والتخصيص

النصيحة بين التعميم والتخصيص، هذه من النقاط المهمة وهو قول الرسول ﷺ ((ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا)) بأسلوب التعميم، وأحياناً كان الرسول ﷺ يخصص في النصيحة ويذكر اسم الشخص أو صفاته ويبين ويوضح بحسب ما تقتضيه المصلحة.

ولكن مع الأسف الشديد بأن الكثير من المسلمين لا يلتزمون بهذه الهداية القرآنية للنصيحة فلو نظرنا إلى أسلوب المبشرين بالديانة النصرانية المخرفة حيث وصلوا إلى نجاح عظيم بسبب حسن أسلوبهم ، لأن أسلوبهم يعتمد على اللين والعاطفة، حيث يتدسسون إلى المسلمين تدسسا رقيقا بلين ، فهذا هو السبب الرئيسي إبعاد كثير من الناس عن الإسلام أو دخولهم في النصرانية، فنحن المسلمون وراث السنة المطهرة الأحق بإختيار الأسلوب الجميل في الدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الثاني: مراعاة الأسلوب الحسن في مناصحة الحكام:

ولما كانت النصيحة موجهة للولاة والحكام أحاطتها الشريعة الإسلامية بمزيد عناية ورعاية لما لهم من الخصوصية، فعلى الناصح يتوخى في مناصحة الحكام أجمل العبارات وأسهل الألفاظ وأحسنها موقعا.. فعن شريح بن عبيد رضي الله عنه قال قال عياض بن غنم لهشام بن حكيم ألم تسمع بقول رسول الله ﷺ ((من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يده علانية ولكن يأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه)). (42)

ويؤكد هذا ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من امتثالهم لهذا النهج " فقد قيل له أسامة بن زيد رضي الله عنه ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه". (43)

قال الإمام النووي رحمه الله موضحاً قصد أسامة قوله "أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من افتتحه يعني المجاهرة بالإنكار على الأمراء على الملأ". (44)

قال الشوكاني: "ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن ينصحه ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد، بل كما ورد في الحديث أنه يأخذ بيده ويخلو به ويذلل له النصيحة ولا يذل سلطان الله". (45)

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله "والجامع لهذا كله أنه إذا صدر المنكر من أمير أو غيره أن ينصح برفق خفية ما يشرف عليه أحد فإن وافق واستلحق عليه رجلاً يقبل منه بخفية فإن لم يفعل فيمكن الإنكار ظاهراً إلا إن كان على أمير ونصحه ولا وافق واستلحق عليه ولا وافق فرفع الأمر إلينا خفية" (46)

وقال العلامة ابن سعدي رحمه الله في النصيحة لأئمة المسلمين "وعلى من رأى منهم ما لا يحل أن ينبههم سراً لا علناً بلطف وعبرة تليق بالمقام ويحصل بما المقصود، فإن هذا مطلوب في حق كل أحد وبالأخص ولاة الأمور، فإن تنبيههم على هذا الوجه فيه خير كثير، وذلك علامة الصدق والإخلاص، واحذر أيها الناصح لهم على هذا الوجه المحمود أن تقصد نصيحتك بالتمدح عند الناس فتقول لهم إني نصحتهم وقلت وقلت فإن هذا عنوان الرياء وعلامة ضعف الإخلاص، وفيه أضرار أخر معروفة" (47)

وقال العلامة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى "ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر، لأن ذلك يفضي إلى الفوضى، وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي

يضر ولا ينفع. ولكن الطريقة المتبعة عند السلف: النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير." (48)

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "ومن حقوق الرعاة على رعيتهم أن يناصحهم ويرشدوهم وأن لا يجعلوا من خطيئهم إذا أخطأوا سلماً للقدح فيهم ونشر عيوبهم بين الناس فإن ذلك يوجب التنفير عنهم وكراهتهم وكراهة ما يقومون به من أعمال وإن كان حقاً ويوجب عدم السمع والطاعة لهم" (49)

قال الشيخ صالح الفوزان "لا شك أن الولاة كفروهم من البشر ليسوا بمعصومين من الخطأ ومناصحتهم واجبة ولكن تناولهم في المجالس وعلى المنابر يعتبر من الغيبة المحرمة، وهو منكر أشد من المنكر الذي يحصل من الولاة لأنه غيبة، ولما يلزم عليه من زرع الفتنة، وتفريق الكلمة، والتأثير على سير الدعوة". (50)

المبحث الثالث: نماذج من نصائح السلف:

لقد حرص علماؤنا على نصيح الحكام بما يسد مسيرة الدولة، ويرئ ذمة العلماء، وهذا كان منهجاً لعلمائنا رحمهم الله تعالى، ولعل لا يكمل الكلام بدون ذكر أمثلة حية للنصيحة عند سلفنا الصالح، لأنهم أقرب إلى عصر النبوة، وأسلم ديناً، وأصفى نفوساً، وأرق قلوباً، ولأن الأمة الإسلامية في أمس الحاجة للإلتفات نحو تاريخ سلفها الصالح للإقتباس والإقتداء والإعتبار، فإن هذه الناحية أي النصيحة من أهم نواحي ذلك التاريخ الوضاء. وقد كان من محاسن علماء الإسلام وحماة أن قاموا بنصيحة الولاة والحكام؛ وأنتم لهم ما أرادوه من إبلاغ الحق، وإقامة الحق في وضوح ونصاعة، وظهور يليق بهذا الحق الذي يدعون إليه، وفي هذا يقول الأستاذ عبد العزيز البدر: "وكانت النصيحة وانتصاحهم للحاكم في مقدمة المنتصحين؛ لأن نصيحتهم فيها الخير كل الخير لهم، ولم يتولون أمرهم". (51)

وهذه بعض نماذج من نصيح هؤلاء يحسن أن يطلع عليها الجيل المتوَّب، عسى أن يجد فيها قسماً يضيفه إلى المشاعل التي تركها سلف أمجاد؛ ليستنير بها من وفق إلى الرشاد، فانتهج سبيل الفلاح وطريق النجاح. وقد كان من أولئك الناصحين أبو حازم سلمة بن دينار فهو ينصح سليمان بن عبد الملك.

النصيحة الأولى: نصيحة أبو حازم لسليمان بن عبد الملك:

لما حج سليمان بن عبد الملك استحضر أبا حازم، فقال له: تكلم يا أبا حازم، قال: فيم أتكلم؟ قال في الخروج من هذا الأمر، قال: يسر إن أنت فعلته، قال: وما ذلك، قال: لا تأخذ الأشياء إلا بحقها ولا تضعها إلا في أهلها، قال: ومن يقوى على ذلك؟ قال: من قلده الله من الأمر ما قلده، قال: عظمي يا أبا حازم؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن هذا الأمر لم يصل إليك إلا بموت من كان قبلك، وهو خارج منك بمثل ما صار إليك، ثم قال: يا أمير المؤمنين، نزه ربك في عظمته عن أن يراك حيث نمك، أو يفقدك حيث أمرك. (52)

النصيحة الثانية: نصيحة الإمام مالك بن أنس لخليفة هارون الرشيد :

فقد كتب إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رحمه الله، إلى الخليفة هارون الرشيد رسالة ينصحه فيها، ويقول: أما بعد، فإني كتبت إليك بكتاب لم آلك فيه رشداً، ولم أدر فيه نصحاً، تحميداً لله وأدباً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتدبره بعقلك، وردد فيه بصرك، وأرعه سمعك، ثم أعقله قلبك، وأحضر فهمك، ولا تغيب عنه ذهنك، فإن فيه الفضل في الدنيا وحسن ثواب الله في الآخرة. اذكر نفسك في غمرات الموت وكرهه ما هو نازل بك منه، وما أنت بموقوف عليه بعد الموت من العرض على الله سبحانه، ثم الحساب، ثم الخلود بعد الحساب، ثم قال له: لا تأمن على

شيء من أمرك من لا يخاف الله، فإنه يلني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ((شاور في أمرك الذين يخافون الله)) احذر بطانة السوء وأهل الردى على نفسك، فإنه بلغني عن النبي ﷺ إنه قال " ما من نسي ولا خليفة إلا وله بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خيلاً ". (53)

دلالات في نصيحة الإمام مالك:

والناظر في هذه فقرات من نصيحة الإمام مالك لمارون الرشيد، يجد أن ثمة دلالات يمكن أن تلمح في هذه النصيحة، ومن هذه الدلالات نذكر ما يلي:

1. أن النصيحة صدرت من عالم ورع و تقي
2. الحرص الشديد في أداء النصيحة والإخلاص فيها وهي خرجت من قلب صادق
3. كانت النصيحة المسداة هنا شاملة تحوي كل معاني الإيمان، والدعوة إلى التمسك بأحكام الإسلام وحدوده وآدابه
4. قبلت هذه النصيحة بالقبول من المنصوح ، وهذه ثمرة النصيحة المرجوة منه
5. نصيحة الحاكم أعمق أثراً، وأشد خطراً من نصيحة أفراد الرعية
6. جوانب النصح للحاكم عند مالك متعددة

نصيحة الإمام أبو حامد الغزالي فخر الملك:

لقد نصح الإمام الغزالي أهل زمانه عامة وخاصة، ولقد كان من نصحه رسالة بعث بها إلى فخر الملك وهو أحد حكام عصره، فكتب فيها: "إعلم أن هذه المدينة (مدينة طوس) خراباً بسبب المجاعات والظلم، ولما بلغ الناس توجعهم من أسفرائين ودامقنان خافوا، وبدأ الفلاحون يبيعون الحبوب، واعتذر الظالمون إلى المظلومين واستسمحوهم، لما كانوا يتوقعون من إنصاف منك، واستطلاع للأحوال، ونشاط في الإصلاح. أما وقد وصلت إلى طوس، ولم يز الناس شيئاً، فقد زال الخوف، وعاد الفلاحون والخبازون إلى ما كانوا عليه من الغلاء الفاحش والاحتكار، وتشجيع الظالمون، وكل من يخبرك من أخبار هذا البلد بخلاف ذلك، فاعلم أنه عدو دينك". (54)

دلالات في نصيحة الإمام الغزالي:

تتحلى في نصيحة الإمام الغزالي دلالات كثيرة ومنها:

1. لم يقتصر في نصائح الحكام على المخاطبة، بل نصحهم أيضاً بإرسال الرسائل إليهم
2. الحرص على إعطاء الصورة الحقيقية للبلاد إلى الحاكم دون تقصير أو مدهانة
3. الحرق على أحوال الناس في زمانه من شدة المعاش، إلى مظالم ترى
4. القوة في الخطاب، وقد وقعت موقعها، وجاءت في موعدها
5. الإنذار ونتائج عند عدم قبول النصيحة

الفصل الثالث: حقوق الولاة والحكام و واجباتهما في الشرع:

المبحث الأول: أهمية الولاة والحكام:

أن أعظم الحقوق وأشدّها فائدة في المجتمع بعد حق الله تعالى ما افترضه الله بين الخلق هو حقوق الولاة والحكام على الشعب وحقوقهم عليها ، وصلاح كل واحد منهما متوقف على صلاح الآخر، توفقاً تكاملياً، ولأجل

أهميته على أن صلاح المجتمع بصلاح الولاية وبفسادها بفساد المجتمع فقد ركزت الشريعة الإسلامية بإعطاء كلا الفريقين الشعب والولاية حقوقهم وهذه الحقوق ليس من باب المندوب بل هو فريضة أوجبها الله على الطرفين وحكم بما لكل واحد منهما نحو الآخر وجعل هذه الحقوق مجعما وقاعدة أساسية لوحدهم ومماسكهم وتعاوضهم لأن اجتماع القيادة مع الشعب في وحدة الطريق والمهدف يجعل الدولة في أعظم مراتب القوة والمنعة وبهذا يحصل تعاون وتعاوض ومجة بين الولاية والشعب وبذلك يئأس الأعداء وتنقطع مطامعهم لأن مطامعهم تتزايد عندما يحصل اختلاف بين الولاية وشعبه، و تستقر البلاد وتحصل الوحدة والألفة بين الأمة، وبسبب تماسكهم مع شعبها تحشى الأمم المتحضرة و تحاب الدول الكبرى صاحبة القوة ولا يجزئ عليها عدو أو يطمع فيها طامع.

ولتحقيق الصلاح العام بين المجتمع شعبها وحكامها لابد أن يكون تعاون و اتفاق فيما بينهم، كما يجب أن يكون هناك دستور يحكم الجميع من الولاية والشعب، ويسعى كلهم لتطبيقه، ولا يمكن أن تصلح الشعوب جميعها إلا بصلاح الولاية لأن الناس كما قيل على دين ملوكهم فإذا فسدوا انتقل الفساد إلى شعوبهم بحكم أن الولاية قدوة وأسوة تسير الشعوب خلفه فيما يقول ويعمل به.

والأحداث والآثار الماثورة تؤكد ما للقيادة السياسية من دور كبير بل أكبر الأدوار في صلاح الأمة وفسادها، وما فسدت أمور الناس إلا بفساد هذين الصنفين، فأعقل الولاية والحكام من وقف موقفاً سليماً في الحكم واستعمل السياسة الحكيمة ولى مطالب و حقوق شعبه وتوفير جميع حقوقهم وأقام العدل والمساواة بين أفراد المجتمع وعدم التمييز فيما بينهم لاشك أن هذه الأمور من أهم أسباب بقاء الدولة وقوتها واستمرارها، فعزت الدولة وأصبحت قوية لاتفاق الحاكم والمحكوم واجتماع الجميع نحو تحقيق عزهم وكرامتهم وبست الأعداء من الطمع فيها والنيل منها ولم يبق لها فيها رغبة لعدم قدرتها عليها وبذلك تنحو نحو السعادة والرفاهية وتبسط ظلها في ربوع الأمان الداخلي والأمان الخارجي وأي دولة تأم من هذين الجانبين تعيش أحلى حضارتها وأشدّها ازدهاراً وعزة.

المبحث الثاني: حقوق الولاية:

لقد أعطى الإسلام الولاية حقوقاً كثيرة لا يستطيع القيام بأعماله في تدبير شئون دولته دون إعطائه هذه الحقوق حصراً بعض أهل العلم كالماوردي و أبي يعلى في حقين هما النصر و الطاعة و بعضهم أوصلها إلى عشرة حقوق مثل ابن الأزرقي (55).

لا شك أن هذه الحقوق المذكورة بعضها متداخلة مع البعض يمكن أن نحصرها في أمور تالية وهي الطاعة والإنقياد، والنصح والإخلاص، والوفاء بالبيعة والتوقير والاحترام، والتعزير والنصرة، والصبر وعدم الخروج.

1 : الطاعة والإنقياد: إن الطاعة والإنقياد للولاية سبب كبير من أسباب الاستقرار السياسي وعامل عظيم من عوامل النجاح في تنظيم أمور الدولة وشؤونها، فالطاعة والإنقياد لولي الأمر واجبة شرعاً فيما لا معصية فيه لأنه لا تستقيم الحياة بدونها فهي مشروط ومقيد بطاعة الله وبطاعة رسوله ﷺ. فلا يمكن تحقيق مقاصد الشريعة الدينية والدنيوية إلا بطاعة الولاية و ما ذلك إلا لعظيم هذا الحق و منزلته الرفيعة في الشريعة الإسلامية كما كان العلماء السابقين الكرام ينوون هذا الحق العظيم.

2 : النصح والإخلاص: من حقوق الولاة على الرعية نصيحهم وإخلاصهم له سرا وعلنا منشطا ومكرها يسرا وعسرا وإبراز النصح وإظهار الإخلاص للولاة والحكام ويؤيدهم على اختيار البطانة الصالحة المخلصة ويجنبهم من وليعة السوء.

3 : الوفاء بالبيعة: من الحقوق التي تجب على الرعية تجاه الولاة الوفاء بالبيعة وحرمة نقضها ونكثها وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على وجوب الوفاء بالبيعة، كقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾⁽⁵⁶⁾ وقوله ﷺ ((من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لاحقة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)).⁽⁵⁷⁾

4 : التوقير والاحترام: إن الشارع الحكيم قد أوجب على المسلمين احترام وتوقير فئات من المجتمع وعلى رأسهم الأمراء فأكدت على احترامهم وتوقيرهم ونهت عن سبهم وانتقاصهم والخط من أقدارهم فحزم الإمام وقوته في إدارة شؤون دولته مع ما أوجبه الشارع من احترام وتوقير يمنع امتهان الناس له وهذا ما حرصت عليه الشريعة لتحقيق مقاصدها.

5: التعزيز والنصرة: من حقوق الولاة على الرعية نصره الولاة لهم وإعانتهم على إقامة الدين وتنفيذ الحدود وأخذ الحقوق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذلك تنفيذ كافة أوامره المشروعة وإعطاؤهم حقهم من الزعامة وفي الجهاد والدفاع عن المسلمين وبلادهم. فالولاة لا يستطيع القيام بهذه الواجبات من غير قيام الرعية بحق الولاة والنصرة.

6: الصبر وعدم الخروج:

يكاد أن لا تخلو أعمال الولاة من الظلم والتعدي على الرعية إلا من عصمه الله تعالى فحينئذ تجب على الرعية التزبن بالصبر وعدم الخروج عليهم وقد أدرك النبي ﷺ هذه الحقيقة وعلم أن الناس سيقابلون ظلم الولاة والرد فأمرهم بالصبر عليهم.

المبحث الثالث: واجبات ولي الأمر:

لقد وضعت الشريعة الإسلامية القواعد العامة التي تبين واجبات ولي الأمر في إقامة الدين ونفاذ الشريعة وسياسة الناس به وهذه الواجبات منها ما هو واجب لله عز وجل ورسوله والجماعة المسلمين. ومن تلك الواجبات التي جمعها الإمام الماوردي حيث قال والذي يلزمه من الأمور العامة عشرة أشياء⁽⁵⁸⁾ يمكن لنا أن نخلصها فيما يلي:

1: حفظ الدين على أصوله المستقرة

أي المحافظة على التوحيد الخالص وأفراد العبادة لله عز وجل وإقامة شعائر الإسلام ومن حفظ الدين نشره والدعوة إليه ورد أهل الأهواء والبدع من نشر بدعهم وزيفهم وبيان الصواب لهم.

2: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين

أي يجب علمه نصب القضاء لقطع الخصومة بين الناس وكف الظالم عن المظلوم حتى يعم العدل لأن العدل من أسباب استقامة أحوال الرعية وثبات الحكومة ودوامها ويدخل في ذلك التسوية بينهم في الحقوق والواجبات العامة.

3: حماية البلاد والذب عن الحرم ليتصرف الناس في المعاش.

فيجب على الولاة توفير الأمن والاستقرار للمجتمع حتى يأمن الناس على دينهم وأحوالهم وأعراضهم وكذلك المحافظة على الأمن والنظام العامة في الدولة وتأمين سلامة الطرق للتنقل بين المدن القرى.

4: إقامة الحدود لتصان محام الله تعالى عن الإتهاك وتحفظ حقوق عباده من اتلاف و استهلاك ومن المهام الولاية اقامة الحدود و تنفيذها بين الرعية و عدم التعاون في ذلك صيانة لمحارم الله عن التحري عليها أو الحقوق العباد عن التخطي إليها

5: تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا تظفر الأعداء

فيجب الولاية حماية البلاد والدفاع عنها وذلك بأعداد العدة المانعة والقوة الدافعة من صناعة السلاح وتدريب الجنود حتى لا يستطيع الأعداء النيل من المسلمين أو معاهديهم.

6: جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة

فعلى الولاية أن يقوم بإزالة كل ما يقوم بإزالة كل ما يعيق نشر الإسلام ولو أدى إلى القتال و الجهاد لإزالة العقبات التي تمنع من نشر الدعوة الإسلامية ولكن هذا مشروط بوجود قوة للمسلمين ووجود عدوان على دعاة الإسلام أو بلاده.

7: جباية الفئى والصدقات على ما أوجبه الشرع نصا واجتهادا

فعلى الولاية جباية الأموال التي أمر الشرع⁽⁵⁹⁾ وصرف تلك الأموال على مستحقيها وفي تدبير شئون الدولة والخدمات للأفراد والرواتب وما إلى ذلك.

8: تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير.

فمن المهام المنوطة بالولاية تقدير العطايا والحقوق الموجودة في بيت المال مثل رواتب الجنود والمجاهدين والموظفين بالدولة وإعانة الأسر المحتاجة أو الفقيرة فيصرف لهم من بيت المال من غير تبذير أو بخل.

9: استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال

يجب على الولاية أن يعين من يقوم بهذه الإمانة من ولاة و وزراء لأنه من المستحيل أن يقوم الولاية بجميع هذه الأعمال بنفسه ولكن عليه أن يختار الأصالح والأنصب من الناس لتعينه بهذا المهام.

10: أن يياشر بنفسه مشاركة الأمور وتصفح الأحوال لينهض سياسة الأمة وحراسة المسلمة

ومن المهام تجاه ولي الأمر ايضا هو أن يقوم الإشراف المباشر على أعمال الدولة ويطلع على أحوال الرعية مع أنه بشرع له إتخاذ الولاية والوزراء ولكن عليه أن لا يتكل عليهم تماما لأنه هو المسؤول أمام الله عز وجل يجب عليه أن يتفقد الرعية.

الفصل الرابع: الشبهات التي يعرضها أهل الأهو والرد عليها:

المبحث الأول: الشبهة الاولى: وجوب الأعلام في إنكار المنكر للولاية:

والله سبحانه وتعالى قد أوجب في كثير من الآيات في كتابه⁽⁶⁰⁾ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأصل فيه هو العلنية لا السرية وهو ما يتوافق مع النصوص الشرعية.

الرد عليها:

لاشك أن الإنكار على الولاية والحاكم ومناصحته من أعظم واجبات أهل العلم لأن الأمر المعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الدين، وقد كان موقف أهل السنة من المنكرات الصادرة من الولاية والحكام وسطاً، وهم يخالفون طريقة الخوارج والمعتزلة والرافضة الذين يرون أن الإنكار على الولاية يكون حتى في المجالس العامة وأمام الناس وفي خطب المنابر، وكلا الطائفتين بمعزل عن الحق، ويمأى عن صريح الكتاب والسنة، فذهب أهل السنة إلى وجوب

إنكار المنكر، لكن بالضوابط الشرعية التي جاءت بها السنة، وكان عليها السلف الصالح من هذه الأمة. ومن أهم ذلك وأعظمه قدراً أن ينصح ولادة الأمر سرّاً فيما صدر عنهم من منكرات، ولا يكون ذلك على رؤوس المنابر وفي مجامع الناس، لما ينجم عن ذلك غالباً من تأليب العامة، وإثارة الرعاع.

فهم يرون أن مناصحة الحاكم تكون على طريقة تالية:

فإن كان المنكر الخاص بالحاكم في خاصة نفسه وأهله ولم يظهر للعامة فهذا ينكر فيه على الولاية سرّاً. وإن كان المنكر العام الذي يتعلق بأفعال الناس كبنوك الربا ونحوها فهذا ينصح سرّاً وأما العامة فيحذرون من هذا المنكر وينهون إلى تحريم الربا مثلاً، دون تعرض للحاكم الذي تمت مناصحته سرّاً، إذ لا فائدة شرعية ولا مصلحة دينية من ذلك والمقصود من الإنكار إزالة المنكر. وهذه الطريقة المتبعة قديماً وحديثاً ومن تأمل النصوص والقصص الواردة عن علماء السلف يجدها لا تخرج عن هذا النطاق مطلقاً⁽⁶¹⁾

المبحث الثاني: الشبهة الثانية: كيف يسكت على أخطاء الحاكم ويتكلم على أخطاء العلماء:

الرد عليها:

في الحقيقة إن الرد عليه من الأهمية بمكان لأنها تجلي شياً كثيرة وتزيل إشكالات كبيرة، فالأصل في المكلفين أنهم خطّاءون، سواء كانوا العامة والعلماء أو الولاية وخير الخطّاءين التوابون، فالخطأ صادر من الولاية لاجتماع ومن أصول هذا الدين العظيم النصيحة فهي تقتضي تبين الخطأ والرد على المخطئ، ويختلف أسلوب النصيحة على حسب مكان الشخص المنصوح فالنصيحة للحكام تختلف في الأسلوب عن النصيحة للعلماء، كذلك النصيحة للعلماء تختلف في أسلوبها عن النصيحة للعامة، لأن الإظهار والتشهير لأخطاء الولاية خلاف السنة وخلاف منهج السلف الصالح، أما أخطاء العلماء فتحوز لأن السنة جاءت بهذا، وجرى عليه عمل السلف وعلينا أن نقنّدي ولا نبتدي ونتبع ولا نبتدع، ولأن خطأ العالم ينسب إلى الدين في حين أن خطأ الحاكم لا ينسب إلى الدين، فالأول ضرره أعظم من الثاني. فقد أمرت الشريعة بمناصحة الحاكم سرّاً، وعدم إظهار أخطائهم والتحدث بها في المجالس العامة أو الخاصة ومقصد الشريعة في ذلك الحفاظ على هيبة الولاية وحرمتهم، وإذا فالطريقة المشروعة هي مناصحتهم في السر. فهكذا جاءت السنة باحترام السلطان وتوقيره ولقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يقدرون الأمير ويحترمونه حتى لقد صار ذلك مضرب المثل عندهم.

قال ابن جماعة: "يعرف له عظيم حقه، وما يجب من تعظيم قدره، فيعامل بما يجب له من الاحترام والإكرام، وما جعل الله تعالى له من الإعظام، ولذلك كان العلماء والأعلام من أئمة الإسلام يعظمون حرمتهم ويلبسون دعوتهم مع زهدهم وورعهم، وعدم الطمع فيما لديهم".⁽⁶²⁾

فالنصيحة في المجالس وفي المحافل تنافي ما أمرت به الشريعة من إكرام الولاية واحترامهم بل فيها استخفاف وانتهاك حرمتهم وإسقاط هيبتهم وزرع الفتنة والفساد، فالواجب إيصال النصيحة لهم بالطرق المشروعة، لا بالتشهير والإشاعة.

أيضاً قولهم: "كيف يسكت على أخطاء الحاكم" فقد أخطأ فيه، لا يقول به أحد، لأن السكوت على أخطاء الحاكم لا يجوز، لكن الأمر بالنسبة للحكام له وضع خاص فالعلماء وأصحاب الرأي ينصحونهم سرّاً.

المبحث الثالث: الشبهة الثالثة: أن النصيحة تدخل في الحريات الشخصية:

يقال: إن النصيحة تدخل في الحريات الشخصية فلا يجوز لأحد أن يدخل فيها ، فللمرء يفعل ما يشاء فهو حر في حياته فليس لأحد أن يأمر لشئ أو ينهى عنه.

الرد عليها :

لا شك إن الحرية الشخصية مكفولة في الإسلام، بمعنى أنه يريد من المسلم أن يكون إنساناً حراً مكفول الحرية، لا يستطيع أن يعتدي عليه، ولا يسمح لأحد أن ينطلق الناس في حرياتهم الشخصية فيتجاوزون الحدود، ويقعون في المحرمات، ويعصون الله تعالى، ويتهك كل واحد حرمة الآخر، ويتلاعب كل شخص على الآخر، وتهدم البيوت هذه المنكرات بمحنة الحرية الشخصية إذا كان شخص يفعل المنكر، وقال: أنا حر في أفعالي، يقال له هذه ليست حرية، وإنما هي عبودية للأهواء، أي هذا يتبع هواه، وصار عبداً لهواه ولم يكون حراً.

المبحث الرابع : روايات وآثار يستدل بها مجوزوا الخروج على الولاة:

هناك بعض الروايات والآثار التي يستدل بها مجوزوا الخروج على الحكام ولكن مع الأسف هذه الروايات والآثار لا توجد في كتب الأحاديث والتاريخ بل وكتب المتقدمين والعلماء المحققين وإنما تجدها في كتب المتأخرين المعاصرين الذين يدعون الناس إلى المظاهرات والثورات والإنقلابات ويحثهم على الخروج على الحكام، بل بعضها لا توجد إلا في كتبهم نسأل العافية .

أولاً: الروايات

الرواية الأولى: ((أطيعوهم ما أطاعوا الله فيكم فإن عصوا الله فلا طاعة عليكم عليهم))⁽⁶³⁾ وهذه الرواية ليس لها إسناد بهذا اللفظ وإنما ذكر في كتاب مسند الربيع الإياضي من غير إسناد هذا المسند الذي يعدل صحيح البخاري عند الإياضية الخوارج .

الرواية الثانية: حدثناه جعفر بن أحمد بن عاصم الانطاكي قال حدثنا هشام بن عمار قال حدثنا إسماعيل بن عياش قال حدثنا عبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة بن صهيب عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((إنه كائن بعدي أمراء يعرفونكم ما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون فلا طاعة لهم عليكم فلا تقبلوا إلا برأيكم))⁽⁶⁴⁾.

أما اللفظ "فلا تقبلوا إلا برأيكم" فلا يحفظ إلا في هذا الحديث وقد روي في هذا المعنى بخلاف هذا اللفظ، هذا إسناد ضعيف لأن إسماعيل بن عياش روايته عن غير الشاميين ضعيفة⁽⁶⁵⁾ وهذه ليست من رواية الشاميين عنه وعبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة قال أبو حاتم "يروي عن أهل الكوفة وأهل المدينة ولم يرو عنه غير إسماعيل بن عياش، وهو عندي عجيب ضعيف الحديث منكر الحديث، يكتب حديثه، يروي أحاديث مناكير، ويروي أحاديث حسناً"⁽⁶⁶⁾ وشهر بن حوشب ضعيف⁽⁶⁷⁾ فهذه ثلاث علل في هذا الحديث فالحديث ضعيف لا يستدل به.

ثانياً: الآثار:

1: أثر خطبة أبي بكر: عن معمر عن رجل عن الحسن أن أبا بكر الصديق خطب فقال أما والله ما أنا بخيركم ولقد كنت لمقامي هذا كارها ولوددت لو أن فيكم من يكفيني فتظنون أنني أعلم فيكم سنة رسول الله ﷺ إذا لا أقوم لها إن رسول الله ﷺ كان يعصم بالوحي وكان معه ملك وإن لي شيطاناً يعتريني فإذا غضبت فاجتنبوني لا أؤثر في أفعالكم

ولا أبشاركم الا فراعوني فإن استقمتم فأعينوني وإن زغت فقوموني قال الحسن خطبة والله ما خطب بها بعده⁽⁶⁸⁾. هذا إسناد ضعيف لإقطاعه وجهالة الرجل الذي روى عنه معمر. وأخرجه القاسم ابن سلام بإسناده لكن هذا إسناد ايضا ضعيف لأن علي بن هاشم صدوق في حفظه شيء قال ابن حبان يروي المناكير عن المشاهير⁽⁶⁹⁾ ولا تقطاعه بين عروة وأبي بكر.

2: أثر عن عمر: قيل أن عمر قام بخطب فقال: "أيها الناس من رأى منكم في أعوجاجاً فليقومه، فقام له رجل وقال: والله لو رأينا فيك أعوجاجاً لقومناه بسيوفنا، فقال عمر الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يقوم أعوجاج عمر بسيف".⁽⁷⁰⁾

3: أثر عن حذيفة: حدثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن إبراهيم عن همام عن حذيفة قال دخلت على عمر وهو قاعد على جذع في داره وهو يحدث نفسه فدنوت منه، فقلت ما الذي أهلك يا أمير المؤمنين، فقال هكذا بيده وأشار بها، قال قلت ما الذي يهلكك والله لو رأينا منك أمراً ننكره لقومناك، قال الله الذي لا إله إلا هو لو رأيتم مني أمراً تنكرونه لقومتهموه، فقلت الله الذي لا إله إلا هو، لو رأينا منك أمراً ننكره لقومناك، قال ففرح بذلك فرحاً شديداً، وقال الحمد لله الذي جعل فيكم أصحاب محمد من الذي إذا رأى مني أمراً ينكره قومي.⁽⁷¹⁾

رجاله كلهم ثقات غير يحيى بن عيسى، قال ابن معين عنه ضعيف وفي رواية ليس بشيء. وقال النسائي ليس بالقوي وقال ابن عدي عامة رواياته مما لا يتابع عليه وقال الإمام أحمد ما أقرب حديثه، وذكره ابن حبان والمجلي في الثقات ولكن الرجل جرحه مفسر وقال ابن حبان وكان ممن ساء حفظه وكثر وهمه حتى جعل يخالف الآثبات فيما يروي عن الثقات فلما كثر ذلك في روايته بطل الاحتجاج به.⁽⁷²⁾ إذا فالأثر ضعيف، ولو صح الأثر لما كان فيه حجة لقولهم الباطل لأن التقويم يكون بالنصح لهم سرا كما هو معلوم في منهج السلف الصالحين رحمهم الله.

النتائج والتوصيات والمقترحات:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمد الله تعالى على توفيقه وامتنانه، على كتابة هذا البحث التواضع بعنوان "الأسلوب الشرعي في نصيحة الولاة والحكام" فله الحمد أولاً وآخراً، وفيما يلي أشير إلى أهم النتائج والتوصيات والمقترحات التي توصلت إليها من خلال دراسة هذا الموضوع.

أولاً: النتائج:

- 1- النصيحة في الدين لها مكانة عظيمة، ومزلتها رفيعة، وهي أصل من أصوله ودعامات الإسلام، وتزداد النصيحة أهمية للولاة والحكام لأنهم من أولى الناس بما لعظيم مكانتهم وكبير حقهم ولقوة أثرهم في الرعية.
- 2- إن المقصود بولي الأمر في الآية هما الأمراء والعلماء والإمام هو الذي اجتمع المسلمون واصبح له قدرة وسلطان يفعل بها مقصود الولاية فهو ولي أمرها شرعاً.
- 3- فالولاية أمانة يجب أداؤها على الوجه المطلوب كما قال النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه أنما أمانة و أنما يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها.
- 4- ولاية أمرا المسلمين أمر ذو شأن عظيم، وهو حق و واجب، وأمانة ومسؤولية من أخذها بحق وآداها بإخلاص فهو محمود عند الناس ومأجور عند الله تعالى، ومن ارتكب بالخيانة فيها فهو مجرم أثيم.

5- تجب على الرعية مداومة النصيحة لولي أمرها بالطريقة الشرعية من نصحه سرا، بالكلام الطيب والأسلوب الحسن والدعاء له بالتوفيق.

6- وجود العلاقة بين الحاكم والمحكوم على أساس النصيح والإخلاص أمر مطلوب لإصلاح أمور العباد والبلاد.
7- إن الشرع الإسلامي الحكيم قد قرر لولي الأمر حقوقا يجب على الرعية أدائها، ومن أهمها: وهي الطاعة والإنقياد، والنصح والإخلاص، والوفاء بالبيعة، والتوفيق والاحترام، والتعزيز والنصرة، والصبر وعدم الخروج. كما على ولي الأمر واجبات ومسؤوليات يجب عليه القيام بها ليحصل التوازن والاعتدال بين الراعي والرعية. وهم-حكاماومحكومين-بحاجة ماسة في أداء الحقوق والواجبات اللازمة عليهم قبل أن يطلبوا ما لهم.

ثانيا : التوصيات والمقترحات:

- 1 - فعلينا للجميع أن نبرز على الناس أهمية النصيحة وضرورتها للولاة والحكام.
- 2 - يجب على المسلمين عموما وعلى علمائهم خصوصا بأخذ الأساليب والطرق المناسبة لنصيحة الولاة والحكام.
- 3- فعلى الناصحين أن يختاروا عند إسداء النصيحة من أسلوب جميل و وسيلة مناسبة حتى يكون للنصيحة أكبر أثر وأكثر قبول عند الولاة.
- 4 - علينا أن نتعرف على نماذج من تطبيقات النصيحة للولاة قديما وحديثا وتحليلها وتقويمها للاستفادة منها، لأن الأمة الإسلامية في أمس الحاجة للإلتفات نحو تاريخ سلفها الصالح للإقتباس والإقتداء والاعتبار.
- 5- المساهمة في نشر ثقافة النصيحة القائمة على محبة الخير للولاة والحكام والحرص على صلاح حالهم الدينية والدنيوية.
- 6 - على ولاة الأمور وعلى علماء الأمة أن يقتدوا بسيرة المصطفى ﷺ والخلفاء الراشدين وعلماء السلف الصالح في أداء ما عليهم من الواجبات تجاه الأمة.
- 7 - ضرورة جمع كلمة ولاة الأمور على كف الظلم ومنع الظالم من الظلم وإعانة المظلوم وإغاثة الملهوف في كل بلد من البلدان الإسلامية بأداء فريضة النصيحة .
- 8 - ضرورة أداء فريضة النصيحة لإزالة الفجوة بين حكام المسلمين ورعيتهنم والتذكير لواجباتهم ومسؤولياتهم تجاه الأمة.

وختاما أسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يستمع القول ويتبع أحسنه وأن يهدينا إلى ما اختلف فيه من الحق بإذنه وأن يقينا شرور أنفسنا وشرور عبادنا وأن يحفظ بلاد المسلمين من المكروه وكيد عدونا وأن يحفظ ولاة أمورنا من كل سوء ومكروه . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش

- 1 سورة النساء، الآية : 59.
- 2 مسلم ، أبو الحسين مسلم بن حجاج، صحيح مسلم ص: 1/ 74 رقم الحديث (55).
- 3 ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ، ص: 6/ 4439، دار المعارف 1119، القاهرة
- 4 سورة الأعراف، الآية : 62
- 5 ابن الفارض، مقاييس اللغة، ص: 5/ 435، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
- 6 ابن الأثير، ابوسعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث ، ص: 5/ 63، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان
- 7 الخطاطي ، معالم السنن للإمام: ص: 4/ 125 مطبعة العلمية بـجلب
- 8 الأصفهاني، الإمام الراغب، المفردات في غريب القرآن ، ص: 2/ 639، مكتبة نزار مصطفى الباز
- 9 ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم ص: 1/ 243 بتحقيق ماهر ياسين فحل ، مصدر الكتاب موقع صيد الفوائد
- 10 سورة التحريم ، الآية: 8
- 11 العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ، فتح الباري ، ص: 1/ 167، دار المعرفة، بيروت لبنان
- 12 النووي ، شرح صحيح مسلم ، ص: 2/ 37، المطبعة المصرية بالأزهر، الكعبة الأولى 1347.
- 13 البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، الجامع الصحيح ، ص: 1/ 36 رقم الحديث (57) ، المطبعة السلفية 1400.
- 14 ابن حجر، فتح الباري ، ص: 1/ 140
- 15 أبو داؤد، سليمان بن أشعث السجستاني، سنن أبو داؤد ، ص: 4/ 245 رقم الحديث (4405) وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الرسالة ص: 58 حديث صحيح. وصححه أيضًا الألبان ينظر الإرواء، ص: 2/ 4
- 16 هو جزء من الحديث السابق
- 17 البغدادى، خطيب ، الفقيه والمتفقه ، ص: 2/ 69، دار ابن الجوزي السعودية
- 18 مسلم، صحيح مسلم ، ص: 1/ 74 رقم الحديث (55)
- 19 النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، سنن النسائي ، ص: 2/ 45 رقم الحديث (3016) وصححه الألبان
- 20 العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر ، فتح الباري ، ص: 1/ 138
- 21 ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم ، ص: 1/ 223
- 22 النووي ، شرح صحيح مسلم ، ص: 2/ 37
- 23 الكتاني ، نظم المتناثر من الحديث المتواتر ، ص: 160، دار الكتب السلفية
- 24 الشيخ صديق حسن خان، العبرة بما جاء في الغزو والشهادة والمجرة ، ص: 34، دار الكتب العلمية بيروت
- 25 سورة القصص ، الآية: 20
- 26 صحيح مسلم ص: 1/ 385 رقم الحديث (1715)
- 27 ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم والحكم ، ص: 1/ 223.
- 28 ابن الأثير ، النهاية في الغريب الحديث ، ص: 5/ 63
- 29 الإمام الخطاطي ، معالم السنن: ص: 4/ 125
- 30 سورة النساء، الآية : 59.
- 31 مسلم ، صحيح مسلم ص: 1/ 385 رقم الحديث (1715)
- 32 الصديقي، محمد بن علان، دليل الفالحين ص: 67 ، جمعية النشر والتأليف الأزهرية
- 33 ابن عبد البر ، الاستذكار ، ص: 8/ 579، بتحقيق عبدالمعطي أمين قلمجي
- 34 ابن عبد البر ، التمهيد ، ص: 21/ 284 ، بتحقيق مصطفى بن أحمد وغيرهم
- 35 ابن حزم ، رسالة الجامع ، ص: 2/ 56

- 36 النوى، شرح صحيح مسلم ، ص: 39/2.
- 37 المصدر السابق
- 38 ابن رجب الحنبلي ، جامع العلوم ، ص: 243/1
- 39 سورة طه ، الآية: 44
- 40 مسلم ، صحيح مسلم ص: 1/ 381 رقم الحديث (537)
- 41 مسلم ، صحيح مسلم ص: 1/ 236 رقم الحديث (285)
- 42 السنة لابن أبي عماس ، ص: 507/2 رقم الحديث (1130) بتحقيق باسم بن فيصل الجوابرة ، دار الصميي
- 43 مسلم ، صحيح مسلم ص: 4/ 2290 رقم الحديث (2984)
- 44 النوى ، شرح صحيح مسلم ، ص: (37/2)
- 45 الشوكان، محمد بن علي، السيل الجرار ، ص: 4/ 267، بتحقيق محمود ابراهيم زايد
- 46 ابن غنام، العلامة، تاريخ نجد ، ص: 87، بتحقيق ناصر الدين الأسد ، دار الشروق
- 47 ابن سمدي ، العلامة، الرياض الناضرة ، ص: 67
- 48 الشيخ سعد بن ناصر الشثري ، حقوق الراعي والرعية ولزوم جماعة المسلمين ، ص: 10
- 49 الشيخ سعد بن ناصر الشثري ، حقوق الراعي والرعية ص: 11
- 50 الشيخ محمد القحطبان ، كتاب فتاوى الأئمة في التوازل المدلغة ، ص: 122
- 51 عبد العزيز البدرى، الإسلام بين العلماء والحكام ، ص: 106، المكتبة العلمية المدينة المنورة
- 52 ابو بكر الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص: 32/1 ، بتحقيق جعفر البياني
- 53 البخاري ، صحيح البخاري ، ص: 2/ 66 رقم الحديث (7198)
- 54 الندوي، ابو الحسن، رجال الفكر والدعوة ، ص: 238 نقلاً عن رسائل الغزالي بالفارسية
- 55 ابن الأزرقي ، بدائع السلك في طبائع الملوك، ص: 39/2 ، بتحقيق علي سامي النشار منشورات وزارة الإعلام بغداد 1977م.
- 56 سورة المائدة ، الآية : 1
- 57 مسلم ، صحيح مسلم ، ص: 1478/2، رقم الحديث (1851)
- 58 الماوردي، الأحكام السلطانية ، ص: 51، بتحقيق أحمد البغدادي ، مكتبة دار ابن تقيية الكويت الطبعة الأولى 1409هـ.
- 59 وهي الزكوة و الخراج والعشور و الجزية و الغنائم و الفئ و العشر و الصدقات و كذلك الأموال التي ليس لها وارث و كالفصوب والحواري و الودائع التي تغدر معرفة أصحابها ، انظر الموسوعة الفقهية والفقه الإسلامي للوهبة الزهيلي
- 60 فمثلا قوله تعالى ﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْغَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ سورة آل عمران الآية: 104 وقوله تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ . سورة آل عمران الآية: 110
- 61 وقد مضى أقوال العلماء في ذلك ص: 12
- 62 ابن جماعة ، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام ، ص: 105، دار الثقافة بتفويض من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر الدوحة
- 63 الربيع الإياضي ، كتاب مسند ، ص: 67
- 64 العقيلي، الضعفاء ، ص: 22/3 ، بتحقيق حمدي بن عبد المجيد ، دار الصميي
- 65 العسقلاني ، احمد بن علي بن حجر، تهذيب التهذيب لابن حجر ، ص: 590/2، مؤسسة الرسالة
- 66 العسقلاني، تهذيب التهذيب ، ص: 590/2
- 67 العسقلاني، تهذيب التهذيب ، ص: 197/3
- 68 عبد الرزاق، المصنف ، ص: 11/ 336 رقم (20701) ، وذلك عن دار الكتب العلمية، 1401هـ .
- 69 العسقلاني، تهذيب التهذيب ، ص: 197/3
- 70 تفسير المراغي للقرآن الكريم ، ص: 8/ 32 ، طبعة مصطفى الباي الحلبي ، عصر، الطبعة الأولى 1365هـ .
- 71 عبد الرزاق، المصنف ، ص: 13/ 278 رقم (35629)
- 72 العسقلاني، تهذيب التهذيب ، ص: 4/ 380